الشياطين كلهم ملة واحدة !!

الثلاثاء 27 ديسمبر 2011 12:12 م

د ممدوح المنير

في أيام الإحتلال الفرنسى لمصر دعا الفرنسيون عدد كبير من العلماء و المشايخ لزيارة المجمع العلمي الذي أنشأوه حينها في القاهرة , ثم قاموا أمامهم ببعض التجارب الكميائية و الطبيعية ليبهروهم بتفوقهم العلمي .

و وصف الجبرتي هذه الزيارة فى تاريخه قائلا :

((من أغرب ما رأيت في ذلك المكان أن بعض الموجودين أخذ زجاجة فيها ماء و صب منها قليلاً في كأس ثم صب عليه ماء من زجاجة أخرى فغلى ما في الكأس و تصاعد من دخان ملون حتى انقطع و جف ما في الكأس و صار حجراً أصفر قلبه أمامنا و أخذناه بأيدينا و نظرناه , ثم فعل ذلك بمياه أخرى فجمد حجراً أزرق , و بأخرى فجمد حجراً أحمراً ياقوتياً , و أخذ مرة قليلاً من غبار أبيض و وضعه على السندان و ضربه بلمطرقة بلطف فخرج له صوت هائل كصوت البندقية انزعجنا منه فضحكوا منا , ... ،و لهم في هذا أمور و أحوال و تراكيب غريبة لا تسعها عقول أمثالنا))

هذا هو المجمع الذى أحترق عن آخره منذ أيام قليلة و أمام شاشات التلفزة فى مشهد مقصود معد بدقة حتى يشعر الناس بكثير من الكراهية و الضيق و التبرم من أى فعل ثورى سواء كان إعتصام أو تظاهر .

فى هذا المقال نحاول أن نبحث و نحلل العلاقة بين مشهد الجبرتى الذى أراد به الفرنسيون إشعار المصريين بالعجز و الضعف أمام تفوقهم العلمى مما يجعل عملية الإحتلال أكثر سهولة ، و بين حرق المجمع العلمى الذى أراد به فاعلوه أن يكفروا الناس بالثورة و الثوّار .

الرابط بين المشهدين هنا هو إستخدام الحرب النفسية كوسيلة فعالة لإخضاع الشعب المصرى و تدجينه ، و إدخاله مرة أخرى إلى بيت الطاعة ، حتى يسهل إقتياده من جديد ، لذلك ليس بمستغرب أن يصرح تشرتشل الزعيم البريطاني بقوله "...كثيرا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ ...".

فلقد كشفت أحداث مجلس الوزراء الأخيرة عن وجود مؤمرات و مخططات تهدف إلى زعزعة الإستقرار و إدخال الوطن إلى مرحلة الفوضى الشاملة لتحقيق أهداف فئة قوية و مسيطرة اعتبرت نجاح الثورة المصرية هزيمة لها و سحب من رصيدها و تهديد مباشر لوجودها .

قد يذهب البعض إلى إتهام المجلس العسكرى بالمسئولية المباشرة عن هذه الأحداث ، و هو الرأى الذى أقتنع به أيضا لأسباب كثيرة بعضها ذكرته فى تحليل سابق عن أحداث شارع محمد محمود و ميدان التحرير ، و قلت فيما قلت أن الهدف هو رفع تكلفة الإعتصام و التظاهر من خلال إراقة الكثير من الدماء بين قتيل و جريح و حرق المؤسسات ، مما يجعل المواطنين يفكرون أكثر من مرة قبل النزول مرة أخرى للتظاهر أو الإعتصام .

و يبدو أن هذه السياسة قد بدأت تؤتى أكلها نوعا ما فلم تكن ردة الفعلية الشعبية الحالية بنفس مستوى ردة الفعل التى أعقبت أحداث شارع محمد محمود .

لذلك ليس مستغربا أن تكون مشاهد القتل و السحل و سفك الدماء قد تم بثها على الهواء مباشرة ، بل أن المجمع العلمى قد ترك يحترق أمام عدسات التلفزة ، بعد أن تم تسليط الضوء على أنه قد يكون هدفا لمشعلى الحرائق ، و رغم ذلك ترك يحترق فى بث مباشر لإحداث التأثير النفسى المطلوب على المواطنين .

هذه الحرب القذرة التى يراد بها إستجداء عواطف الناس ، أو كما يقول الكاتب الفرنسي غوستاف لوبون "... إن ما يحرك الجماهير هو ردود الفعل العاطفية ..." .

و الحرب النفسية الحالية تهدف إلى تحقيق عدة أهداف اساسية منها :

أولا : بث الخوف و الرعب فى نفوس المواطنين (مشاهد الضرب و السحل و القتل تهدف إلى ذلك) .

ثانيا : بث الكراهية و السخط على كافة أشكال الفعل الثورى (حريق المجمع العلمى أريد به ذلك) .

ثالثا : إصابة المواطنين بحالة من البلبلة و الإرتباك تضيع معه البوصلة التى يهتدى بها الوطن .

رابعا : صرف الناس عن الإنتخابات و ما يحدث بها من تجاوزات مرصودة أو حتى إعاقة إنعقاد مجلس الشعب .

كما تعتبر الشائعات هى الأخرى من أهم وسائل الحرب النفسية و التى بطبيعتها تعتمد في إنتشارها على عملية الإيحاء النفسي الذي يكسر مقاومة متقبل الشائعة و خاصة أن الِشائعة تأتيه عادة على لسان أحد يثق فى كلامه من أصدقاءه أو معارفه عموما .

و فى أجواء الفوضى و الأزمات التى نعيشها الآن فى مصر تنتشر الشائعات حيث يختل الإتزان الإنفعالي للأفراد مع تسارع الأحداث , مما

يـدفعهم الى عـدم التميز بيـن مـا يـتردد فى وسائـل الإعلام المختلفـة ،خاصـة أن هنـاك قنوات فضائيـة و صـحف سـيارة تعمـد فى نشـر الشائعات على ما يمكن أن يطلق عليه إيحاء الأغلبية , فكل فرد يميل الى تصديق ما تجمع عليه معظم أو غالبية أفراد مجتمعه حيث أن إنتشار الشائعة بين عدد كبير من الأفراد يقدم لها الدعم الكافى و يزيد من قابلية إنتشارها بدرجة كبيرة .

أدرك جيـدا أن هناك أفعال ينـدى لها الجبين من بعض من يطلق عليهم ثوّار و الثورة بريئـة منهم ، و أن هذه الأفعال تسـتخدم بذكاء من قبل مشعلى الفتن و الحرائق فى مصر ، لكن أدرك جيدا أن حجم هؤلاء من الضعف بحيث لا يمكن أن يتسببوا فيما يحدث ، قد يكونوا هم الشرارة ، و لكنهم ليسوا بكل تأكيد البنزين الذى سكب عن عمد لإشعال الفتن فى مصر كلها .

أدرك كذلك أن المجلس العسكرى ليس المسئول الوحيد عن ما ما يحدث و إن كان يتحمل المسئولية كاملة بحكم إدارته لشئون البلاد .

و أعلم يقينا أن وراء الفتن التى تحـدث فى مصر أصابع خارجيـة ممن لا تحب لمصر إسـتقرارا أو نهضـة مع أصابع داخلية من الفلول و بعض الأجهزة الأمنيـة مهمتها أن تشعل الفتيل أو تسكب عليه البنزين إذا كان مشـتعلا ، لكن من يحاول ان يوهمنا بأنه لا أحد يعلم حقيقة ما يحـدث ، فهـذا نـوع من الإسـتخفاف بالشـعب الـذى يـذكرنا بعهـد البائـد مبـارك الـذى كـان يزور الإنتخابـات عيانـا جهـارا ثم يخرج علينـا بطلعته البهية يحدثنا عن نزاهة الإنتخابات !! .

فمن المعروف أن فى مصر أكثر من عشـرة أجهزة أمنيـة حساسة و قوية ، و تقريبا كانت هذه الأجهزة الأمنية فى عهد المخلوع هى أكثر مؤسسات الدولة التى تحظى بإهتمام و رعاية ، أمن المعقول إذا أن تكون لا علم لها بالمتسبب فى حوادث القتل و الحرق والفوضى التى تبث على الهواء مباشرة على عشرات القنوات و أمام أهم مؤسسات الدولة على الإطلاق التى تحظى بإحتياطات أمنية غير طبيعية ؟!!! .

أليس هذا هو الإستخفاف بعينه بعقول الناس و الذى يصل إلى حد إحتقارهم و الإستهزاء بهم ؟! .

و إن إفترضنا فى أنفسـنا البلاهة مع الإعتذار لكل قارىء ، و صدقنا أن هذه الأجهزة الأمنية لا تعلم شيئا عن الفاعل الحقيقى ، أليس من أبجـديات العمـل السياسـى فى الـدول المحترمة و شبه المحترمـة أن يقـدم هؤلاء إسـتقالتهم فورا نظرا لفشـلهم الـذريع فى الكشف عن المجرم فى حادث يبث على الهواء مباشرة ؟!! .

كيف نطمئن إذا على أمن مصـر الـداخلى أو الخارجى إذا كان المجلس العسـكرى لا يعلم شـيئا و لا الأجهزة الأمنيـة لا تعلم شـيئا عما يدور تحت عينها ؟!! .

لا أدرى لماذا تذكرت معركة ((بلاط الشهداء)) , و قد دارت هذه المعركة في جنوب غربي فرنسا بين المسلمين والفرنسيين .

و قد هزم المسـلمون فيها على إثر إشاعة تم نشـرها بينهم تقول أن بعض الفرنسـيين قد تسـللوا الى مؤخرتهم وأخذوا ينهبون خيامهم و يعتـدون على من فيهـا من النسـاء , فكـان أن ترك الفرسان المسـلمين الميـدان ليحموا خيامهم ونساءهم , وظن بقيـة الجيش أنه توجد رغبة في التقهقر فاقتـدت بالفرسان , وبذلك خسـروا المعركة بعد أن كانت لصالحهم في البداية ، إنها حرب نفسـية قذرة إسـتخدمت فيها الأعـراض و النسـاء لصـرف النـاس عن المعركـة الأساسـية حـتى انهزم المسـلمون، أترك لـك عزيزى القـارىء إسـقاط القصـة التاريخيـة على ما يحدث من حولك لتفهم أن الشياطين كلهم ملة واحدة !! .

———

رئيس الأكاديمية الدولية للدراسات و التنمية